تفسير سورة الرعد

كاملة

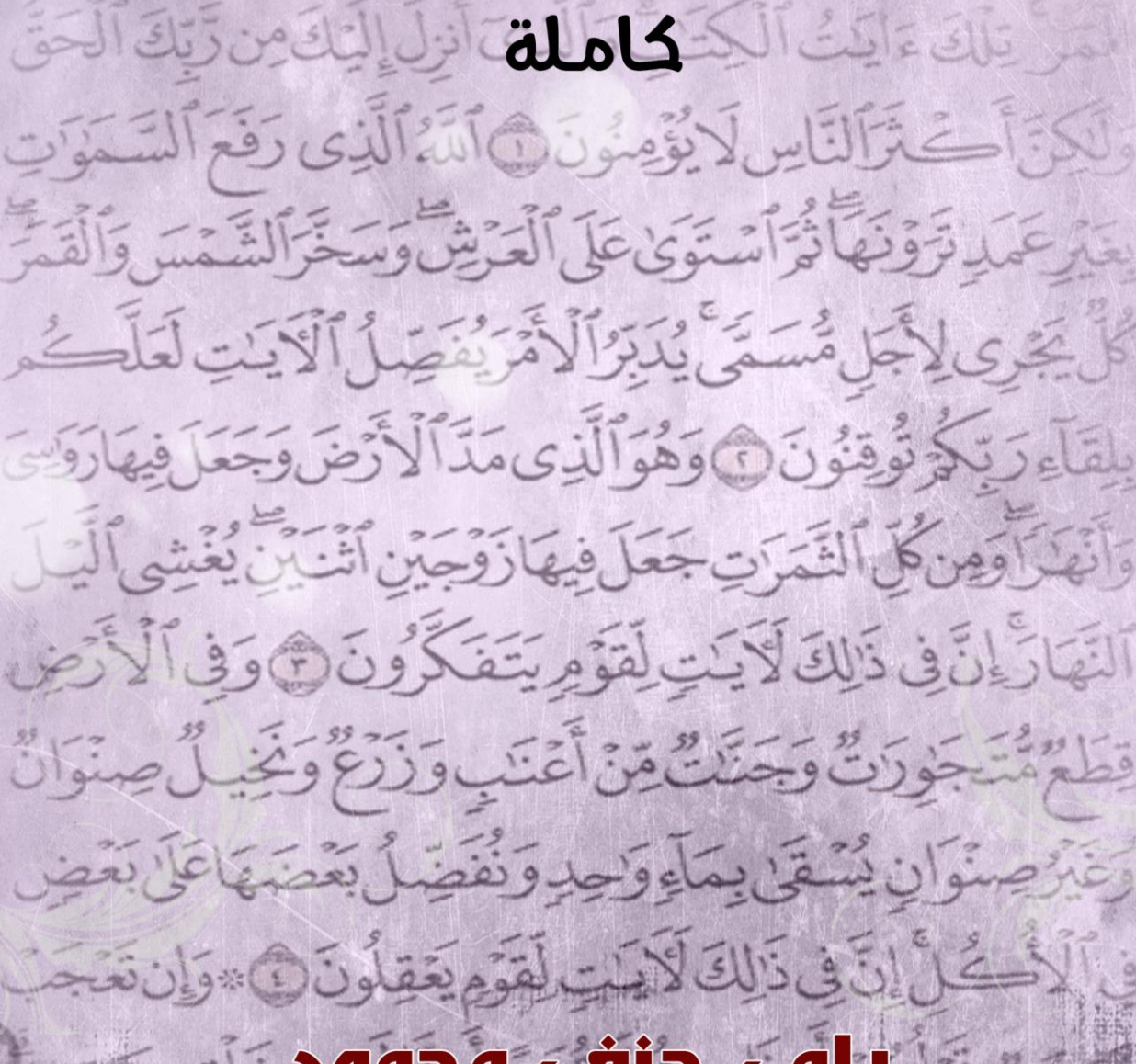

رامي حنفي محمود

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلسلة كيف نفهم القرآن؟ (*)

(تفسير سورة الرعد كاملة)

١. الربع الأول من سورة الرعد

الآية ١: ﴿المر﴾: سَبَقَ الكلام عن الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، (واعلم أن هذه الحروف تُقرأ هكذا: ألِف لام ميم را)، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ يعني: تلك الآيات – التي نتلوها عليك يا مُحَمَّد في هذه السورة – هي آيات الكتاب العظيم، ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ - أي القرآن والسُنَّة – هو ﴿الْحَقُّ﴾ الواضح ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية ٢: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما ﴿تَرَوْنَهَا﴾ يعني كما تشاهدونها (مرفوعةً بقدرتِهِ مِن غير أعمدة)، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ أي عَلا وارتفعَ سبحانهُ ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يَليقُ بجلاله وعَظَمته، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذَلَّلَهما لمنافع العباد، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الشمس والقمر ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي يَدورُ في فَلَكِهِ إلى يوم القيامة، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: أي يُدَبِّر سبحانه أمورَ خَلقه، ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: أي يوضّح لهم الآيات الدالة على استحقاقه وحده للعبادة، وعلى قدرته على بَعْث الخلائق بعد موتها – إذ هو سبحانه الذي ابتدأ خَلْقها من العدم - ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: أي لتكونوا على يَقين بلقاء ربكم يوم القيامة للحساب والجزاء، فحينئذٍ تُخْلِصوا عبادتكم له وحده، وتتوبوا إليه وتستغفروه.

الآية ٣: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ أي جَعَلها مُمتدة، وبَسَطَها لتستقروا فوقها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً راسية لتُثبِّتُ الأرض ﴿وَأَنْهَارًا﴾ لِشُربكم ومَنافعكم، ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: أي جعل سبحانه في الأرض – من كل أنواع الثمرات – صِنفين اثنين، فجعل منها الأبيض والأسود والحلو والحامض وغير ذلك، ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: أي يُدخِلُ سبحانهُ الليلَ على النهار حتى يُذهِبَ نُوره، ويُدخِل النهار على الليل حتى يُذهِب ظلامه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تدل على قدرته ووحدانيته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يَتفكرونَ بعقولهم، فيَتَّعظوا ويَجتهدوا في فِعل ما يَنفعهم في الدنيا والآخرة.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير الميَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي "، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو التفسير.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ لا يُفهَم منه أنّ الأرض مُسَطَّحة، بل إنه يَدُلّ على أنك أينما ذهبتَ فوق الأرض، تراها مَمدودة أمامك، وهذا لا يُمكِن هَندسيّاً إلا إذا كانَ الشكل دائريّاً (إمّا كُرة أو بيضة أو دائرة)، إذ إنها لو كانت مُسَطَّحة: لاَختفى هذا المَدّ عند الوصول لحدودها، فسُبحانَ مَن عَلَّمَ مُحَمَّداً ﷺ هذه الحقيقة.

الآية ٤: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ يعني: ومِن آياته سبحانه أنه جَعَلَ في الأرض قِطَعاً – من الأراضي الزراعية – يَلتصق بعضها ببعض، فمنها ما يُخْرِجُ نباتًا طيبًا يَنفعُ الناس، ومنها ما لا يُخرِجُ النباتَ إلا رَديئاً قليلاً لا نَفْعَ فيه (مع أنها نفس الأرض)، ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ﴾ يعني: وجعل سبحانه – في الأرض الواحدة – بساتينَ من أعناب، وكذلك جعل فيها أنواعاً مختلفة من الخُضروات والحبوب والفاكهة، ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ أي عدة نَخلات مُشترِكة في مَنبت واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ يعني: وهناك نَخلات غير مُجتمِعة في نفس المَنبت، وإنما كل نخلة قائمة على أصلها.

♦ كُلُّ ذلك في تربة واحدة، و﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ ولكنه يَختلف في شكله وحجمه وطعمه، ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ يعني: وبَعضها أفضل من بعض في الأكل (فسبحانَ مَن خَلَقَ الثمرات، وخلق لكل ثمرةٍ مَذاقاً وطَعماً) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي علاماتٍ على قدرته ووحدانيته، وقد جعل سبحانه هذه الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يَتفكرون بعقولهم، فيَعلموا أنه سبحانه الخالق الرازق المُستحِق وحده للعبادة، إذ لا يُعقَل أبدًا أن يَخلُق سبحانه ثم يُعبَد غيرُه، وأن يَرزُق ثم يُشكَر غيرُه!

الآية ٥: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ - أيها الرسول – من عدم إيمان قومك بعد هذه الأدلة: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي فالعَجَب الأشدُّ مِن قول الكفار: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ – بعد موتنا – ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي نُبعَث أحياءً من جديد؟، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ الذي أَوْجَدَهم من العدم ﴿وَأُولَئِكَ﴾ تكونُ ﴿الْأَغْلَالُ﴾ - وهي سلاسل من نار – تُوضَعُ ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

♦ ويُحتمَل أن يكون المقصود بالأغلال التي في أعناقهم: أنها مَوانع الهداية في الدنيا، كالتقليد الأعمى، واتِّباع الهوى، والكِبر والعناد، والانقياد وراء الشهوات، وغير ذلك.

الآية ٦: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي يَستعجلك المشركون بإنزال العذاب – الذي أنذرتَهم به – ليكون دليلاً لهم على نُبُوَّتك، بدلاً مِن أن يَطلبوا إنزال الرحمات والبركات وسعة الرزق والرخاء (وذلك لجَهلهم وعِنادهم)، لأنّ إنزال الرخاء والبركات – بعد أن تطلبها لهم مِن اللهِ تعالى – سيَكون دليلاً أيضاً على نُبُوَّتك، وأفضل لهم مِن طلب العذاب والهلاك.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ يعني: وقد مَضَتْ عقوبات المُكذبين أمثالهم (كعادٍ وثمود)، ورأوا ديارهم، فكيف لا يَعتبرون بهم؟! ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾ يعني إنه سبحانه غفورٌ لِمَن تابَ إليه من الناس ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أي على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرغم مِن ظُلمهم لأنفسهم بالمعاصي، إذ لو كانَ سبحانه يؤاخذ بالذنب لمجرد وقوعه: ما تَرَكَ على الأرض من دابة، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن أصَرَّ على الشِرك والمعاصي ولم يَتُب منها.

الآية ٧: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني: هَلاَّ أُنزلَ اللهُ مُعجزة محسوسة على مُحَمَّد (كَعَصا موسى وناقة صالح)، وليس ذلك بِيَدِك أيها الرسول، فـ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ أي مُبَلِّغٌ لهم، ومُخَوِّفهم مِن عذاب ربهم إن أشركوا به وعصوه، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يعني: ولكل أُمَّةٍ رسولٌ يُرشدهم إلى التوحيد، وإلى فِعل الطاعات كما شَرَعها الله لهم.

الآية ٨، والآية ٩: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ في بطنها (هل هو ذكر أو أنثى؟ أبيض أو أسمر؟ كم سَيَعيش؟ وغير ذلك)، ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ يعني: ويَعلم سبحانه ما تُنقصه الأرحام (فَيسقط ميتاً، أو يُولَد قبل تسعة أشهر)، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ يعني: وكذلك يَعلم سبحانه ما يَزيد حَمْله على التسعة أشهر، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾ مُقَدَّرٌ ﴿بِمِقْدَارٍ﴾ مُحَدّد لا يَتجاوزه، وهو سبحانه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي يَعلمُ ما غابَ عن حَواسِّكم – أيها الناس – ويَعلم ما تشاهدونه، وهو ﴿الْكَبِيرُ﴾ في ذاته، العظيم في قَدْره وصفاته، ﴿الْمُتَعَالِ﴾ الذي يَعلو جميعَ خَلْقه بذاته وقَهْره، والذي تعالى وتَنَزَّهَ عن الشَريك والشَبيه والزوجة والولد.

الآية ١٠: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾: يعني يَتساوَى – في عِلمه سبحانه – مَن أخفى القولَ منكم (فتحدَّث به بصوتٍ منخفض) ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ يعني: وَمَن تَكَلَّم به بصوت مُرتفع، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ يعني: ويتساوَى عنده أيضاً مَن استَتَرَ (أي تَخَفّى) بأعماله في ظُلمة الليل، ومَن جَهَرَ بها (أي أعلنها) في وَضَح النهار.

الآية ١١: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ أي: للهِ تعالى ملائكةٌ يَتعاقبون ويَتوالون على الإنسان بالليل والنهار ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي مِن أمامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي يَحفظونه بأمْر الله تعالى مِن شر الجن وغيرهم، (ويُلاحَظ أنّ اللهَ تعالى لم يقل: (يَحفظونه بأمْر الله) وإنما قال: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، لأنّ ذلك الحِفظ هو مِن قَدَر اللهِ تعالى، إذ إنه سبحانه يُقَدِّرُ البلاء ويُقَدِّر أيضاً ما يَمنع البلاء).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي لا يُغيِّر سبحانه نعمةً أنعَمَها على قومٍ إلا إذا غَيَّروا ما أمَرَهم به فعَصوه، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ أي بَلاءً أو عذاباً: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾: أي فلا مَفرَّ منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾: أي ليس لهم مِن دون اللهِ وَلِيٌّ يَتولى أمورهم، فيَجلب لهم المحبوب، أو يَدفع عنهم المكروه.

الآية ١٢: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصواعق التي فيه (لتخافوا عذابه وتتقوه)، ﴿وَطَمَعًا﴾ في نزول المطر (لترجوا رحمته وتدعوه)، ﴿وَيُنْشِئُ﴾ سبحانه ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ أي السحاب المُحَمَّل بالماء الكثير لمنافعكم، فيكونُ مَرفوعاً بقدرته تعالى، رغم ما فيه مِن ماءٍ كثير.

الآية ١٣: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ (والرعد هو الصوت الذي يُسمَع من السحاب ويُزعِج العباد، فهو خاضعٌ لربه،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُسَبِّحٌ بحمده) ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ يعني: وتُسَبِّحه الملائكة مِن أجْل خوفها منه سبحانه، ﴿وَيُرْسِلُ﴾ سبحانه ﴿الصَّوَاعِقَ﴾ المُهلِكة ﴿فَيُصِيبُ بِهَا﴾ أي يُهلِكُ بها ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الظالمين والكافرين ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني: والكفار يُجادلون في وحدانية اللهِ وقدرته على البعث ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي شديد الحَوْل والقوة، وشديدُ البطش بمن عصاه وجَحَدَ قدرته، (واعلم أنّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما كان يقول – إذا سمع صوت الرعد –: (سبحان الذي يُسبح الرعد بحمده والملائكة مِن خِيفته))، واعلم أيضاً أنّ (سبحان الله وبحمده) تُعادِلُ في المعنى (سبحان الله والحمد لله).

الآية ١٤: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي: للهِ تعالى دعوة التوحيد (لا إله إلا الله) التي يَدعو إليها جميع الرُسُل، فهو الإله الحق الذي يَستجيبُ لمن دَعاه، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ - من الآلهة المزعومة - ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مِن دعائهم ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ يعني إلا كَحَالِ رجلٍ عطشان، يَمُدّ يَديه إلى الماء ليَشرب منه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾: أي وهو لا يستطيع أن يَصل إلى الماء، ويَظل هكذا حتى يَهلك عطشاً، (فهذا مَثَلُ مَن يَعبد غيرَ اللهِ تعالى بدعاءٍ أو ذبحٍ أو نذرٍ أو غير ذلك، فهو محرومٌ من الإجابة، خائبٌ في مَسعاه، عاقبته النار والخُسران)، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ لآلهتهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي في ضَياع، لأنها لا تَسمع دعائهم، ولا تَعلم شيئاً عن حالهم.

الآية ١٥: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وحده ﴿يَسْجُدُ﴾ جميع ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خاضعًا مُنقادًا ﴿طَوْعًا﴾ أي طاعةً لأمْره (كالمؤمنين) ﴿وَكَرْهًا﴾ أي رغمًا عنهم (كالمنافقين)، وكالكُفار عند الشدائد (حِينَ لا يَنفعهم ذلك)، (واعلم أنّ الكافر – وإن لم يَسجد للهِ تعالى عبادةً – فإنه يَسجد له بخضوعه لأحكامه الجارية عليه – مِن غِنىً وفقر، وصحةٍ ومرض، وسعادةٍ وشقاء - ولا يَقدر أن يَرُدّها)، ﴿وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ يعني: وتَنقادُ لعَظَمته ظلال المخلوقات، فتتحرك بإرادته أول النهار وآخره.

الآية ١٦، والآية ١٧: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ ﴿قُلِ﴾: ﴿اللَّهُ﴾ هو الخالق المُدَبِّر لهما، وأنتم تُقِرُّونَ بذلك، ثم ﴿قُلْ﴾ - مُلزِمًا لهم بالحُجَّة -: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي مَعبودين ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؟! فكيف لها أن تَنفع عابِديها أو أن تَضُرّ مَن لم يَعبدها؟!

♦ ثم ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ يعني هل يَتساوَى عندكم ﴿الْأَعْمَى﴾ وهو الكافر الذي عَمِيَ عن آيات اللهِ تعالى رغم وضوحها ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ الذي أبْصَرَ آيات اللهِ فآمَنَ بها، ولم يَتكبر عن الانقياد للحق؟! لا يَستويانِ أبداً، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ وهي ظُلُمات الجهل والكفر والمعاصي (وما يَنتج عن ذلك من القلق والحيرة واضطراب النفس) – فهل يَتساوى ذلك ﴿وَالنُّورُ﴾ أي نور العلم والإيمان والاطمئنان بذِكر الله تعالى وتوحيده؟!

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ سبحانه ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾؟! تعالى اللهُ عن ذلك عُلوّاً كبيراً، ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وأنتم تعترفون بذلك أيها المشركون، إذاً فهو وحده المُستحِق للعبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

♦ ثم ضَرَبَ سبحانه مَثَلاً للحق والباطل بماءٍ أنزَلَهُ من السماء، فقال: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي مَطَراً كثيراً، حتى أصبح سَيلاً من الماء، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: أي فجَرَى سَيْلُ الماء في أَوْدِية الأرض (بقدْرِ صِغَرِها وكِبَرِها)، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ يعني: فحَمَلَ السَيلُ غُثاءً (أي رَغوةً طافية فوقه) لا نَفْعَ فيها.

♦ وضَرَبَ سبحانه مَثَلا آخر، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ وهي المعادن التي تُوقَدُ عليها النار لِصَهرها، وذلك ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ أي طلبًا للزينة (كما في الذهب والفضة)، ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾: يعني أو يُصهِرونها طلبًا لمنافع يَنتفعونَ بها (كما في النحاس)، فيَخرج من هذه المعادن: ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾: أي خَبَث لا فائدةَ فيه (كالذي كانَ مع الماء)، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾: أي بِمِثل هذا يَضرب اللهُ الأمثالَ للحق والباطل: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يعني: فأمّا الباطل فهو كَغُثاء الماء (وهي الرَغوة التي تتلاشى أو تُرْمَى)، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: وأمّا الحق فهو كالماء الصافي والمعادن النقية (إذ تَبقى في الأرض للانتفاع بها) ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ لِيَتَّضِح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

الآية ١٨: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ يعني إنّ المؤمنين الذين أطاعوا اللهَ ورسوله، أولئك لهم الحُسنَى (أي لهم الجنة)، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وكفروا برسوله: أولئك لهم النار، و﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: يعني لو أنهم يَملكون كل ما في الأرض وضِعْفه معه: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾: أي لَجَعَلوه فِداءً لأنفسهم من عذاب اللهِ يوم القيامة (ولن يُقبَلَ منهم)، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي يُحاسبهم اللهُ على كل ما قدّموُه مِن عَمَلٍ سيّئ، فلا يَغفِرُ لهم منه شيئاً، ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ أي مَصيرهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ لتكونَ فِراشاً لهم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: يعني وهي بِئسَ الفِراش والمُستقرُّ.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. الربع الثاني من سورة الرعد

الآية ١٩، والآية ٢٠، والآية ٢١: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ يعني: هل الذي يَعلم أنّ ما جاءكَ أيها الرسول من ربك هو الحق – وذلك لِوُضوح علاماته – فيُؤمن به بمجرد ظهوره ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ عن الحق لا يؤمن به؟! لا يستويانِ أبداً، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: إنّ الذين يَتَّعظون بالقرآن وأدِلَّته هم أصحاب العقول السليمة، وهم ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وهو العهد الذي أمَرَهم به سبحانه – من السمع والطاعة لأوامره التي في كتابه - ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ أي لا يَنقضون العهود المؤكدة التي عاهَدوا اللهَ على الالتزام بها (ما لم تكن إثماً أو قطيعة رَحِم)، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كالأرحام والمحتاجين، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بفِعل ما أمَر واجتناب ما نَهى ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ أي يَخافون أن يُحاسبهم اللهُ على كل ذنوبهم، ولا يَغفر لهم منها شيئًا، فحينئذٍ لا يَرجون إلا رحمته، ولا يُحسِنون الظنّ إلا به، حتى يَغفر لهم ذنوبهم ويَقبل منهم أعمالهم.

الآية ٢٢، والآية ٢٣، والآية ٢٤: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ يعني: وهُم الذين صبروا على الأذى، وصبروا على الطاعة، وصبروا عن المعصية (طلبًا لرضا ربهم)، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني أدَّوها على أتمّ وجوهها (بخشوعٍ واطمئنان)، ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعني أخرَجوا من أموالهم: (الزكاة المفروضة والصدقات المُستحَبة) ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: أي في الخَفاء والعَلَن، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يَدفعون السيئةَ بالحسنة فتمحوها (والمعنى أنهم يَتوبون من المعاصي، ويَجتهدون في فِعل الطاعات ليَمحو الله بها السيئات، وكذلك يكونون حَلِيمينَ على الجُهَلاء، وصابرينَ على مَن يؤذونهم، فيَدفعون إساءتهم بالكلام الحسَن)، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي جنات الخلود، التي ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ويقيمون في نعيمها الدائم وهم سُعداء مُرتاحونَ البال، فلا تصيبهم الهموم، ولا يخططون لمستقبلهم، ولا يخافون منه (بل أصبح شُغلهم الشاغل هو التلذذ والتمتع بأنواع النعيم والشهوات)، ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: ومعهم الصالحونَ ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ - والذرية هي الأبناء (ذكوراً كانوا أو إناثا) – ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ لِتَهنئتهم بدخول الجنة – قائلينَ لهم -: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: أي سَلِمْتم مِن كل سُوءٍ بسبب صَبْركم في الدنيا، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي فنِعْمَ العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي الجنة.

الآية ٢٥: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ يعني: وأمّا الأشقياء الذين لا يُوفون بعهد الله ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي مِن بعد عَهْدِهِ الذي أخَذَهُ عليهم – بتوحيدِهِ – وَهُم في ظَهر أبيهم آدم (وقد أكَّدَ سبحانه هذا العهد بإرسال الرُسُل وإنزال الكُتب)، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ونَشْر الشِرك والفساد ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي لهم الطَرْد من رحمة اللهِ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: أي لهم العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.

الآية ٢٦: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي يُوَسِّع سبحانه الرزق على مَن يشاءُ مِن عباده ﴿وَيَقْدِرُ﴾: أي ويُضَيِّقه على مَن يَشاءُ منهم (فالتصرّف كله بيديه سبحانه، وله الحِكمةُ البالغة في تضييق الرزق وتوسعته؛ لأنه سبحانه الأعلمُ بما يُصلِح عباده مِن الفقر والغنى)، ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: وفَرِحَ الكفار بالسَّعة في الحياة الدنيا (ولم يَعلموا أنّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التوسعة في الدنيا ليست دليلاً على حب الله للعبد ورضاه عنه، وليس التضييق دليلاً على كُره الله للعبد وغضبه عليه)، إذ الدنيا لا تساوي عنده جناح بَعوضة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ يعني: وما هذه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا شيءٌ قليل (يُتمتَّعُ به قليلاً ثم يَزولُ سريعاً).

الآية ٢٧، والآية ٢٨: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني: هَلاَّ أُنزِلَ اللهُ مُعجزة مَحسوسة على مُحَمَّد، كمُعجِزة موسى وعيسى، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ من المُعاندين، فلا يَهتدون ولو رأوا جميع المُعجِزات، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: ويَهدي سبحانه – إلى دينه – مَن رجع إليه بالإيمان والطاعات، وتابَ إليه من الشِرك والعِصيان، وهؤلاء هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالحق لَمَّا جاءهم ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ وتوحيده، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ يعني: ألاَ بطاعة الله وذِكره تطمئن القلوب المؤمنة وتأنس، وتَسعد بخالقها (واعلم أنّ أفضل الذِكر هو ما كانَ باللسان مع حضور القلب، ويَجوز الذِكر باللسان فقط – فالذي يَذكر خيرٌ من الذي لا يَذكر – ولكنه أقلّ درجةً مِمَّن يَذكر بلسانه وقلبه).

الآية ٢٩: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ أي لهم حياةٌ طيبة في الدنيا، ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ أي: ولهم مَرجع حَسَن في الآخرة إلى جنة اللهِ ورضوانه، (واعلم أنّ طُوبَى هي شجرةٌ في الجنة، مَسِيرة مائة عام، تَخرج ثياب أهل الجنة من أكمامها، كما أخبر بذلك النبي ﷺ) (انظر حديث رقم: ٣٩١٨ في صحيح الجامع).

الآية ٣٠، والآية ٣١: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ يعني: وكما أرسلنا المُرسَلين قبلك أيها الرسول، فكذلك أرسلناكَ ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ أي مَضَتْ ﴿مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ ﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: أي لتقرأ القرآنَ على هذه الأُمَّة (تذكيراً وتعليماً، وإنذاراً وبِشارة)، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ أي: ولكنّ كفار قومك يَجحدون بوحدانية الرحمن واستحقاقه وحده للعبادة، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ رَبِّي﴾ الذي خلقني ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا هو، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي عليه اعتمدتُ وَوَثقتُ في حِفظي وفي نَصري وفي كل أموري ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ يعني: وإليه وحده رجوعي بالإيمان والطاعة، والدعاء عند الكرب والحاجة، وإليه توبتي فيما عاتَبَني عليه.

♦ ثم رَدَّ اللهُ على الكافرين الذين طلبوا إنزال المُعجزات على النبي ﷺ، قائلاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ يعني: ولو أننا أنزلنا قرآناً يُقرأ، فتزول به الجبال عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: يعني أو تتشقق به الأرض ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾: يعني أو يَحيا به الموتى وتُكَلَّم – كما طلبوا منك – ما آمَنوا به إلا أن يَشاء الله.

♦ وهذا يُشبه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ولذلك قال بعدها: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ يعني: بل للهِ وحده الأمر كله في إنزال المُعجزات وفي هداية مَن يَشاء، ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعني: أفلم يَعلم المؤمنونَ ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ من غير مُعجِزة؟، إذاً فليَتركوا له الأمْرَ سبحانهُ يَفعل ما يشاء ويَحكم ما يريد، (واعلم أنّ اللفظ: "يَيْئَس" يأتي أحياناً بمعنى "يَعلم"، وهذا في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إحدى لغات العرب، وقد نزل القرآن بلُغة العرب).

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ أي تَنزل بهم مصيبةٌ – بسبب كُفرهم – فيُصيبهم عذابها، ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يعني أو تنزل تلك المصيبة ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ فيُصيبهم الخوف مِن تجاوُزها إليهم، ولا يزالون كذلك ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم (كما حدث في فتح مكة) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، (واعلم أنّ القارعة هي المصيبة التي تَقرع القلوب – أي تَطرِقها – بالخوف والفزع والهم والحزن، وقد سَمَّى اللهُ يوم القيامة بالقارعة لشدته وأهواله التي تَقرَع القلوب وتُخيفها).

الآية ٣٢: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أيها الرسول – كما استهزأ هؤلاء الكفار بدَعْوَتك – ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني فقد أمهلتُ الكافرين المُستهزئين – من الأمم السابقة – حتى قامت عليهم الحُجَّة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بعقابي، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؟! لقد كان عقابي شديدًا مُهلِكاً، (وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لكفار قريش، وفيه أيضاً تصبيرٌ للنبي ﷺ على ما يَلقاهُ مِن أذى قومه).

الآية ٣٣، والآية ٣٤: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: هل الذي خَلَقَ النفس البشرية ويَرزقها ويَعلم أعمالها ويُحاسبها عليها - وهو اللهُ سبحانه – أحَقّ أن يُعبَد، أم هذه المخلوقات العاجزة، التي لا تَعلم شيئاً عن عابِدِيها؟! ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يَعبدونهم، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿سَمُّوهُمْ﴾: أي اذكروا صفاتهم – فإنكم لن تجدوا فيها شيئاً يَجعلهم يَستحقون العبادة - ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني أم تُخبِرونَ اللهَ بشركاء في أرضه لا يَعلمهم؟! ﴿أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾: يعني أم تُسَمُّونهم "شركاء" بمجرد إطلاق اللفظ عليهم من غير أن يكون لهم حقيقة؟! ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ يعني: بل حَسَّنَ الشيطانُ للكفار قولهم الباطل وصَدَّهم عن دين الله، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يعني فليس له أحدٌ يُوفقه إلى الحق والرشاد، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسْر والذل والفضيحة، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ يعني أثقل وأشد من عذاب الدنيا ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: يعني وليس لهم مانع يَمنعهم من عذاب الله.

الآية ٣٥: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ يعني: وَصْف الجنة – التي وَعَدَ اللهُ بها عباده المتقين – أنها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾: أي طعامها لا يَنقطع، وظِلُّها لا يَزول، ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: هذه الجنة هي عاقبة الذين خافوا عذابَ ربهم – ففعلوا ما يرضيه واجتنبوا ما يُغضبه –، ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ يعني: وعاقبة الكافرينَ هي نار جهنم (نسألُ اللهَ العافية لنا ولإخواننا المؤمنين مِن شرِّ جهنم).

الآية ٣٦: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: والذين أعطيناهم الكتاب من اليهود والنصارى – من العلماء الصادقين – كعبد الله بن سَلام والنَجاشي ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، لمُوافقته لِمَا عندهم، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ يعني: ومِن المُتَحزِّبين – أي المجتمعين –على الكفر ضِدَّكَ يُنكِرون بعض المُنَزَّل عليك، ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾، وهذا كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فإذا كنتم تُنكِرونَ بعض القرآن، فخُذوا منه ما لا تستطيعونَ إنكاره (وهو عدم الشرك باللهِ تعالى)، فقد كان النصارى يَتبرؤون من الشِرك، وفي نفس الوقت يَعبدون عيسى عليه السلام.

♦ وهذا مِن بلاغة القرآن الكريم: (إلزامُ الطرف الآخر بالحُجَّة)، فإنه قال لهم أولاً: (أُمِرْتُ أن أعبد الله)، لأنه لا يَختلف في ذلك أحدٌ من أهل الكتاب، ثم قال لهم بعد ذلك: (ولا أُشْرِكَ به)، وذلك لإبطال عبادتهم لعيسى عليه السلام.

♦ ثم أمَرَ الله رسوله أن يقول لهم: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾: يعني أدعو الناسَ إلى توحيد اللهِ وعبادته (كسائر الرُسُل مِن قبلي)، فأنا مأمورٌ بالدعوةِ إليه وحده بهذا القرآن، وليس لي أن أختار منه شيئاً وأترك الآخر، فليس معنى أنكم تنكرون بعضه، أنْ أتَّبع أهوائكم وأُبَلِّغكم ما يُرضِي أسماعكم، وإنما أُبَلِّغكم كل ما يُوحيه إليّ من ربي ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ يعني: وإليه وحده أَرجع في كل أموري، وإليه وحده مَرجعي بعد موتي فيُجازيني بما قمتُ به من الدعوة إلى دينه.

الآية ٣٧: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ يعني: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسان أقوامهم، فكذلك أنزلنا إليك هذا القرآن بِلُغَة العرب لتَحكُمَ الناسَ به، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني: ولئن اتَّبعتُ أهواء المشركين في عبادة غير اللهِ تعالى ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ - بأنك على الحق وهُم على الباطل - ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾: أي ليس لك حينئذٍ مِن ناصرٍ يُنقذك من عذاب اللهِ تعالى.

الآية ٣٨: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ - هذا رَدٌّ مِن اللهِ تعالى على المشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما لك تتزوج النساء؟)، فإنما هو بَشَرٌ كسائر الرُسُل مِن قبله - ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ - وهذا رَدٌّ عليهم أيضاً عندما قالوا: (لو كانَ رسولاً لأَتَى بما طَلَبْنا من المعجزات)، فليس في استطاعة رسولٍ أن يأتي بمعجزةٍ أرادها قومه إلا بإذن الله – فـ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ يعني لكل أمْرٍ مُحَدّد بوقت: ﴿كِتَابٌ﴾ كَتَبَ اللهُ فيه ذلك الأجل، لا يَتقدم عنه ولا يَتأخر.

الآية ٣٩: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي يُبَدِّل اللهُ ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده، ويُبْقِي ما هو صالحٌ لهم ونافع، فما مَحَاهُ تعالى فهو المنسوخ، وما أبقاهُ فهو المُحكَم، (وفي هذا رَدّ على إنكارهم لِنَسْخ بعض الأحكام وتبديلها، كاستقبال الرسول لبيت المَقدس ثم استقباله للكعبة)، فأخبرَهم سبحانه أنه ذو إرادة ومَشيئة لا تَخضعان لإرادة الناس ومَشيئاتهم، ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وهو اللوح المحفوظ الذي جَمَعَ كل المقادير، فلا يَدخله تبديلٌ ولا تغيير، ففي صحيح مسلم أنه ﷺ قال: (رُفِعَتْ الأقلام وجَفَّت الصحف).

♦ وأمّا قوله ﷺ: (مَن سَرّهُ أن يُبسَط له – (أي يُوَسَّع له) – في رزقه، ويُنسَأ له – (أي يُؤخَّر له) – في أجَله: فليَصِل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رَحِمَه)، فهذا معناه أنّ اللهَ تعالى كتب في اللوح المحفوظ أنّ فلاناً يَصل رَحِمَه، ولذلك سأوَسِّع له في رزقه كذا، وأؤخِّر له أجَله إلى وقت كذا، (فصِلَة الرحم سببٌ في توسعة الرزق وطول العمر)، وكذلك الحال في قوله ﷺ: (لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاء)، فإنّ الدعاء سببٌ في رَدّ البلاء عن العبد، كما قال النبي ﷺ: (ما مِن مُسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحِم، إلا أعطاهُ اللهُ بها إحدى ثلاث: إمّا أن يُعَجِّل له دَعْوَته، وإمّا أن يَدَّخِرها له في الآخرة، وإمّا أن يَصرف عنه من السُوء مِثلها) (انظر صحيح الترغيب والترهيب ج:٢).

الآية ٤٠، والآية ٤١: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ يعني: وإمَّا أن نُرِيَكَ – أيها الرسول – في حياتك بعض العقاب الذي توَعَّدْنا به أعداءك (كما حدثَ في بدر) ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نُرِيَكَ ذلك فيهم: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: أي ففي الحالتين ما عليك إلا تبليغ الدعوة، ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ والجزاء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾؟ وذلك بفتح المسلمين لبلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين، وبهذا تنقص أرض الكفر، وتزداد أرض الإيمان، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ (وذلك لأنّ حُكمه سبحانه مُشتمِلٌ على العدل التام، أمّا غَيره فقد يُصِيبُ في قوله ويُخطئ، وقد يَعدِلُ في حُكْمِهِ ويَظلم)، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فلا يَشغله شيءٌ عن آخر، ولا يُتعِبُهُ إحصاءٌ ولا عدد.

الآية ٤٢: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي دَبَّرَوا المكايد لِرُسُلهم (كما فَعَلَ هؤلاء معك)، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ يُبطِل سبحانه مَكْرَهم ويُعيده عليهم مِن حيث لا يشعرون، لأنه سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مِن خيرٍ أو شر (ومِن ذلك عِلمُهُ تعالى بمَكْرهم)، فأين مَكْرُ مَن يَعلمُ كل شيء مِن مَكْرِ مَن لا يَعلم شيئاً؟! أفلا يَفهم كفار قريش هذا فيَكُفوا عن مَكْرهم برسول اللهِ ودَعْوَتِه؟! ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ - عند لقاء ربهم يوم القيامة - ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي لمن تكون العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؟ إنها للرسل وأتْباعهم (وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ للكافرين).

الآية ٤٣: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ للنبي مُحَمَّد: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾: أي ما أرسلك اللهُ إلينا، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فشهادته سبحانه لي بالنُبُوَّة هي ما أعطاهُ لي من المُعجِزات الباهرات (كانشقاق القمر وغيرها)، وكذلك وَحْيُهُ إليَّ بهذا القرآن الذي أُنذِرُكم به، والذي لا يستطيعُ أن يقوله بَشَر، وأنتم تعلمون ذلك لأنكم أبْلغ البَشَر، هذا أولاً، وثانياً: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: يعني وكذلك شهادة علماء اليهود والنصارى، مِمّن آمَنَ برسالتي، واتَّبعَ الحق فصَرَّحَ بتلك الشهادة ولم يَكتمها.

****